كيف نكرم موتانا

خولة بشير عابدين



الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٦/٧/٣٢١٨)

٢٤٤,٦١
عابدين، خولة بشير
كيف نكرم موتانا/ خولة بشير عابدين._ عمان: دارالمأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٦.
(١١٢) ص
ر.أ: (٣٢١٨/ ٧/ ٢٠١٦).
الواصفات: / العقيدة الدينية //الوفاة /

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

(ردمك) ISBN ٩٧٨ -٩٩٥٧ - ٧٧-٤٢٠ -٢



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com

الإهـــداء

في الحياة محطات تترك بصمات دائمة في نفوسنا، وتحفر في أعماقنا مشاعر إنسانية رائعة لا تنسى أبدا بل تبقى رفيقة لنا، لا تغادرنا، وستكون في الآخرة أجمل.

وأجمل رفقة في الحياة هي رفقة الإيمان؛ رفقة العمل الصالح؛ رفقة السعي إلى مرضاة الله، حيث تكون الشغل الشاغل لمن يترافقون في هذا الطريق.

عرفت في مسيرتي الدعوية أخوات فاضلات؛ كن مثل بناتي، كل واحدة منهن تخشى علي من

كل سوء، وتحرص على راحتي، وتجتهد في معاونتي في الدعوة إلى الله، أسأل الله أن يجزيهن عني جميعاً خير الجزاء في الدنيا والآخرة، وأن يبارك في دينهن وأعمارهن وأسرهن، وأن يجمعني بهن في جنات النعيم.

ومنهن:

«الفاضلة نهى محيي الدين المصري (أم صلاح)» رفيقتي وأختي وابنتي وقد علمني ديني أن أشكر من أحسن إلي، فـ﴿ **هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ** ﴾[الرحمن: ٦٠].

«ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله».

إليها أهدي هذا الكتاب تقديراً لها، وعرفاناً لما قدمته لي من عناية ومساندة في طريق الدعوة.

هذا الإهداء شكر مني لها في الدنيا، أما في الآخرة فأقول لها: جزاك الله خيراً عني وعن خدمتك للدعوة وعن كل ما قدمت لدينك وأمتك.

وأسأل الله الذي جمعني بك في الدنيا الفانية أن يجمعني بك في الفردوس الأعلى.

المحبة لك:

خولة بشير عابدين

«أم علاء»

٣-٣-٢٠١٦م

المقدمة

الموت نهاية كل حي، والحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملا.

والموت رحلة آتية لا بد منها، ننتظرها ونعد لها حتى نختم حياتنا الدنيا بمرضاة الله ﷻ، وندخل جنة النعيم بفضل الله وكرمه.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا

مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

وقد حذرنا الله من الغفلة عن النهاية الحتمية، وأرسل إلينا نذراً تذكرنا بحقيقة الدنيا وتدفعنا إلى الاستعداد للرحيل.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن

تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٧].

ومن المهم أن ندرك معنى النذير في هذه الآية الكريمة.

جاء في تفسير القرطبي: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾

وقرىء «وجاءتكم النُّذرُ» واختلف فيه؛ فقيل القرآن.

وقيل: الرسول؛ قاله زيد بن علي وابن زيد.

وقال ابن عباس وعكرمة وسفيان ووكيع والحسين بن الفضل والفرّاء والطبري: هو الشيب.

وقيل: النذيرُ الحُمَّى.

وقيل: موت الأهل والأقارب.

وقيل: كمال العقل. والنذير بمعنى الإنذار.

قلت: فالشيب والحُمَّى وموتُ الأهل كلُّه إنذار بالموت؛ قال ﷺ: «الحُمَّى رائدُ الموت».

قال الأزهري: معناه أن الحمى رسول الموت، أي كأنها تُشعر بقدومه وتُنْذرُ بمجيئه.

والشيب نذير أيضاً؛ لأنه يأتي في سنّ الاكتهال، وهو علامة لمفارقة سنّ الصِّبَا الذي هو سِنٌّ اللهو واللعب.

قال:

رأيــت الشــيب مــن نُــذُرِ المنايــا

لصــاحبه وحسْــبُك مِــن نــذير

وقال آخر:

فقلـت لهـا المشـيبُ نـذيرُ عمـري

ولســت مســودا وجــه النــذير

وأما موت الأهل والأقارب والأصحاب والإخوان فإنذار بالرحيل في كل وقت وأوان، وحين وزمان.

قال:

وأراك تحملــهم ولســتَ تــردّهم

فكأنني بك قد حُمِلت فلم تُــردَّ

وقال آخر:

الموت في كـل حـين ينشـر الكَفَنَـا

ونحـن في غفلـة عمّـا يُـرادُ بنـا

وأما كمال العقل فيه تُعرف حقائق الأمور ويفصل بين الحسنات والسيئات؛ فالعاقل يعمل لآخرته ويرغب فيما عند ربه؛ فهو نذير.

وأما محمد ﷺ فبعثَه الله بشيراً ونذيراً إلى عباده

قطعاً لحججهم؛ قال الله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] (موقع التفسير: www.altafsir.com).

إنها نذر كثيرة يفترض أن توقظنا وتنبهنا، وتجعلنا ندرك حقيقة وجودنا في الأرض، وحقيقة دنيانا، وحقيقة الآخرة التي سنصير إليها، ولذلك من المهم أن نسأل أنفسنا: ماذا أعددنا للموت؟

هل نحن في غفلة أم أننا يقظو القلب، مفتحو

البصيرة؟

ولنتدبر هذا الحديث الشريف الذي ينبهنا إلى المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل أن تحول بيننا وبينها عوائق، ولنلقى الله وهو راضٍ عنا: «عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: بادروا بالأعمال سبعاً: هل تنتظرون إلا: فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، (أي مضعفاً للقدرة العقلية لدى الإنسان) أو موتاً مجهزاً (أي منهياً للحياة) أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر» (رواه الترمذي/كتاب الزهد، وقال: حديث حسن).

المطلوب من كل منا أن يقدم لنفسه ما يوقن أنه ملاقيه:

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

والحمد لله خالقنا وحبيبنا الذي لا يتركنا لأنفسنا بل تتجلى أسماؤه الحسنى علينا، ومن تلك الأسماء الحسنى التي نتلقى تجلياتها في الدنيا والآخرة:

الرحمن والرحيم.

فهو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة.

هذان الإسمان نكررهما كلما قرأنا البسملة أو سورة الفاتحة، ونلمس تجلياتهما في كل جانب من جوانب حياتنا.

ومن فضل الله علينا أن رحمته سبقت غضبه: عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله الخلق كتب قي كتابه - فهو عنده فوق العرش- إن رحمتي سبقت غضبي» (رواه البخاري كتاب بدء الخلق حديث رقم ٦٤٦٩).

وأن رحمته وسعت كل شيء: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وأن التجلي الأعظم للرحمة يكون يوم القيامة:

قال أبو هريرة ﵁ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة مئة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»(البخاري/باب جعل الله الرحمة مائة جزء حديث رقم ٦٠٠٠).

وعن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة»(رواه البخاري/كتاب الرقاق حديث رقم ٦٤٦٩).

هذه سعة رحمة الله بعباده وبخلقه في الدنيا والآخرة.

ومن تجلي الرحمة علينا أنه: لم يختم على أعمالنا عند رحيلنا من الدنيا، بل فتح لنا أبواباً من الخير، تأتينا منها أعمال وأجور، تلحق بنا فيرفع الله بها درجاتنا، ويغفر ذنوبنا.

ومن تجليات رحمة الله تعالى على الإنسان: أن جعله كائناً مكرماً على سائر مخلوقاته، وقد تجلى الإكرام الرباني للإنسان منذ أن نفخ فيه من روحه، وخلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في السماوات والأرض، وجعل فيه من الأسرار

ما تجلى من خلال وجوده على هذه الأرض، مصداقاً لقوله تعالى في رده على الملائكة:

﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

حين قالوا: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وقد أخبرنا الله سبحانه عن هذا التكريم صراحة في محكم كتابه بقوله:

﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٠].

هذا التكريم كان عند خلق آدم أبي البشر، وامتد في الدنيا، ويستمر في البرزخ، ويوم القيامة، وما بعد ذلك في دار الخلود.

وسنقف في هذا الكتاب على ثلاثة أمور:

الأول: بعض مظاهر تكريم الإنسان عند الموت وبعد الموت.

الثاني: ما يمكن أن نقدمه لأنفسنا من أعمال صالحة يمتد أجرها بعد رحيلنا عن الدنيا، لتزداد حسناتنا، وتغفر سيئاتنا، وترفع درجاتنا.

الثالث: ما يمكن أن نقدمه نحن من أعمال

صالحة لأحبابنا الذين سبقونا إلى عالم الخلود وانتقلوا من الدنيا إلى عالم البرزخ.

وهذا من فضل الله وتكريمه للإنسان: أنه لم يختم على عمله بالموت، بل أبقى باب الحسنات مفتوحاً تأتيه من أعمال صالحة من أبواب خير كثيرة:

قدمها لنفسه قبل الرحيل، أو أهداها إليه أحبابه من أهل الدنيا تصل إليه بعد رحيله.

تكريم الإسلام للميت

إن تكريم الإسلام للإنسان بعد موته هو امتداد لتكريمه وهو حي، ولو نظرنا في الإجراءات الإسلامية التي تحيط بالإنسان منذ احتضاره حتى رحيله وما بعد ذلك لوجدنا أنفسنا أمام سلسلة من الإكرامات، ومنها:

تلقين المحتضر:

الاحتضار هو الحالة التي تصيب الإنسان قبيل خروج الروح من الجسد، وقد يطول وقت الاحتضار وقد يقصر، وهو فرصة للإنسان أن

ينطق بالشهادتين، ويطلب المسامحة من الحاضرين، ويوصي بما يجب أن يكون بعد رحيله، إن لم يكن كتب الوصية.

ولحظات الاحتضار تختصر حياة الإنسان كلها، فمن عاش على شيء مات عليه، فالذي يكون من الصالحين حقيقة تكون أحواله عند الاحتضار دالة على حسن الخاتمة، فيجد البشرى في هذه اللحظات من الملائكة الكرام الذين يحضرونه:

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾[النحل: ٣٢].

ويجد منهم العون والتثبيت:

﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [فُصِّلَت: ٣١].

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي - ﷺ - قال: إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم:٢٧] (البخاري/ كتاب الجنائز رقم ١٣٦٩).

وعلينا أن نتذكر آية كريمة تلخص حال المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢١].

وكما يجد المحتضر العون والتثبيت من الملائكة يحتاج إلى أحبته الذين يشهدون احتضاره من أهل وأقرباء ليلقنوه: «لا إله إلا الله» ليساعدوه على حسن الخاتمة بأن يختم حياته ب:«لا إله إلا الله».

وقد جاء التوجيه النبوي بالتلقين في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» (رواه مسلم، الجنائز، حديث رقم ٢١٢٣).

وجاء في شرح النووي لهذا الحديث: قوله ﷺ معناه: من حضره الموت، والمراد: ذكروه: «لا إله إلا الله» لتكون آخر كلامه كما في الحديث: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة».

والأمر بهذا التلقين أمر ندب، وأجمع العلماء على هذا التلقين، وكرهوا الإكثار عليه، والموالاة لئلا يضجر بضيق حاله وشدة كربه، فيكره ذلك

بقلبه، ويتكلم بما لا يليق، قالوا: وإذا قاله مرة لا يكرر عليه إلا أن يتكلم بعده بكلام آخر، فيعاد التعريض به ليكون آخر كلامه». (شرح النووي على صحيح مسلم، ج٦ ص٢١٩، المطبعة المصرية ومكتبتها).

وفي التلقين إعانة للمحتضر على التلفظ بالشهادتين وعلى الثبات على التوحيد حتى آخر لحظة من حياته.

وفيه دفع لكيد الشيطان ووسوسته عنه عند النزع لأن الشيطان يعمل على إضلال الإنسان عن الحق حتى وهو في سكرات الموت.

فتنة الشيطان عند الاحتضار

الشيطان هو العدو الأكبر للإنسان، ويجب ألا تغيب عنا عداوته لأنه أعلن الحرب على آدم وذريته منذ تمرده على أمر الله، حين رفض السجود لآدم عليه السلام، فلعنه الله وطرده من رحمته، ومما قاله في ذلك الموقف:

﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢].

وقد أرشدنا القرآن الكريم، ونبينا الحبيب ﷺ إلى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، ومن ذلك

قوله تعالى:

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧ - ٩٨].

ومن الدعاء النبوي المتعلق بالاحتضار: «وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت» (رواه أحمد والترمذي وأبو داود).

«وقد ذكر علماؤنا أن الشيطان يأتي الإنسان في تلك اللحظات الحرجة في صورة أبيه أو أمه أو غيرهم ممن هو شفيق عليه ناصح له، ويدعوه إلى اتباع اليهودية أو النصرانية أو غيرها من المبادئ المعارضة للإسلام، فهناك يزيغ الله من كتبت له

الشقاوة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

وقد حدث عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل قال: حضرت وفاة أبي أحمد، وبيدي خرقة لأشد لحييه، فكان يغرق، ثم يفيق، ويقول بيده: لا بعد، لا بعد، فعل هذا مراراً، فقلت له: يا أبت أي شيء يبدو منك؟ قال: إن الشيطان قائم بحذائي عاض على أنامله، يقول: يا أحمد فتني، وأنا أقول: لا بعد، لا بعد، حتى أموت.

وقال القرطبي: سمعت شيخنا الإمام أبا

العباس أحمد بن عمر القرطبي، يقول: «حضرت أخا شيخنا أبي جعفر أحمد بن محمد القرطبي بقرطبة، وقد احتضر، فقيل له: لا إله إلا الله، فكان يقول: لا، لا، فلما أفاق، ذكرنا له ذلك، فقال: أتاني شيطانان عن يميني وعن شمالي، يقول أحدهما: مت يهودياً فإنه خير الأديان، والآخر يقول: مت نصرانياً فإنه خير الأديان، فكنت أقول لهما: لا، لا.

وقد استدل بعض العلماء بهذا الحديث - حديث جابر بن عبدالله - على حضور الشيطان عند المحتضر؛ لإغوائه وافتتانه، كما استدلوا أيضاً

بما رواه أبو هريرة ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال.

قال ابن دقيق العيد ت ٧٠٢هـ: «فتنة المحيا ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات، وأعظمها والعياذ بالله أمر الخاتمة عند الموت»، وفتنة الممات يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت، أضيفت إليه لقربها منه، ويكون المراد بفتنة المحيا على هذا ما قبل ذلك، ويجوز أن يراد بها فتنة القبر.

كما قد استدل شيخ الإسلام ابن تيمية بحديث الاستعاذة من فتنة المحيا والممات على حضور الشيطان عند المحتضر لإغوائه، وأنه قد يعرض الأديان على بعض العباد، حيث قال رحمه الله: «أما عرض الأديان على العبد وقت الموت فليس هو أمراً عاماً لكل أحد، ولا هو أيضاً منتفياً عن كل أحد، بل من الناس من تعرض عليه الأديان قبل موته، ومنهم من لا تعرض عليه، وقد وقع ذلك لأقوام، وهذا كله من فتنة المحيا والممات التي أمرنا أن نستعيذ منها في صلاتنا»، منها ما في الحديث الصحيح: «أمرنا النبي ﷺ أن نستعيذ في

صلاتنا من أربع من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»، ولكن وقت الموت أحرص ما يكون الشيطان على إغواء بني آدم؛ لأنه وقت الحاجة، وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «الأعمال بخواتيمها». **(الدرر السنية، الموسوعة العقدية، الكتاب السادس، الإيمان باليوم الآخر، الباب الأول: القيامة الصغرى، الفصل الأول: الاحتضار).**

وقد حاول الرسول ﷺ تلقين عمه أبي طالب الشهادتين في الحديث المتفق عليه:

«حديث الْمُسَيَّبِ بْنِ حَزْنٍ قَالَ: لَمّا حَضَرَتْ

أَبا طَالِبٍ الْوَفاةُ جاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبا جَهْلِ بْنَ هِشامٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَة، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يا عَمِّ قُلْ لا إِلهَ إلاَّ اللهَ كَلِمَةَ أَشْهَدُ لَكَ بِها عِنْدَ اللهِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنِ أَبي أُمَيَّةَ: يا أَبا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِب؟

فَلَمْ يَزَل رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُها عَلَيْهِ، وَيَعُيد له تِلْكَ المَقالَةِ حَتّى قَالَ أَبو طَالِبٍ آخِرَ ما كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلى مِلَّة عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبى أَنْ يَقُولَ: لا إِلهَ إلاّ الله، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَما وَاللهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ما لَمْ أُنْهَ عَنْكَ.

فَأَنْزَلَ اللهُ تبارك وتَعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] البخاري كتاب الجنائز حديث رقم ١٣٦٠)(مسلم، كتاب الإيمان رقم ١٣٢ وهذه رواية مسلم).

هذا التلقين النبوي لأبي طالب دليل على مشروعية التلقين وأهميته للميت مسلماً كان أو غير مسلم.

ومن الأحاديث الدالة على تلقين المحتضر: الحديث الذي رواه أنس بن مالك ﷺ: (كَانَ غلام يهودي يَخدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِندَ رَأسِهِ، فَقَالَ: أَسلِم.

فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِندَه، فَقَالَ لَه: أَطِع أَبَا القَاسِمِ ﷺ. فَأَسلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: الحَمدُ لِلَّهِ الذِي أَنقَذَهُ مِنَ النَّارِ) (رواه البخاري. «كتاب الجنائز» حديث رقم ١٣٥٦).

ولمجلس احتضار الميت آداب منها:

الحرص على ألا نقول إلاّ خيراً، ولا نسمع المحتضر إلاّ ما يسره ويطيب خاطره.

وقد أرشدنا إلى ذلك رسولنا الكريم ﷺ بقوله: «إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون» (رواه مسلم «كتاب الجنائز» حديث رقم ٢١٢٩).

قراءة سورة يس عند المحتضر:

اختلف أهل العلم في قراءة سورة يس عند المحتضر، فقد ورد فيها حديث من العلماء من ضعفه، ومنهم من أخذ به، عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَؤوا عَلَى مَوْتَاكُمْ يس». (رواه أبو داود والنسائي وأحمد وابن حبان وصححه، التاج الجامع ج١ ص ٣٤٠).

وقد اختلف العلماء في الحديث، فمن وثقه رأى أن قراءة سورة يس عند المحتضر سنة.

ولا يخفى ما في سورة يس من البشائر للمؤمن، وما فيها من ذكر الآخرة ومشاهدها، مما يكون فيه خير للمحتضر.

ومن ضعف الحديث لم ير هذه القراءة سنة.

توجيه الميت نحو القبلة:

ومن السنة توجيه المحتضر إلى القبلة لحديث رسول الله ﷺ: «الكعبة قبلتكم أحياءً وأمواتاً» (رواه أبو داود حديث رقم ٢٨٧٥).

ما بعد خروج الروح:

ومن تكريم الإسلام للإنسان متابعة حاله خطوة خطوة منذ احتضاره، فإذا خرجت الروح فإن من السنة **تغميض عيني الميت** والدعاء له.

يبين ذلك هذا الحديث الذي روته أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال عند احتضار أبي سلمة ثم خروج روحه:

قالت: «دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: إنّ الروح إذا قبض تبعه البصر، فضج ناس من أهله، فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون

على ما تقولون.

ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يارب العالمين، وافسح له في قبره ونور له فيه» (رواه مسلم/كتاب الجنائز).

تجهيز الميت:

ومن إكرام الإسلام للميت العناية بجسده بعد مفارقة الروح، هذا الجسد الذي صحب الروح مدة الحياة، وكان أداة الإنسان في أمر معاشه ومعاده، ولذلك رتب الإسلام للميت ترتيباً يليق بكرامته عند الله: من تغسيل، وتعطير، وتكفين،

وصلاة جنازة، ودفن.

فمع أن الجسد سيدفن في التراب ويتحلل فلا بد له من الغسل.

وهو كالغسل الشرعي.

وعلينا أن نتذكر أن هذا الجسد الذي يتحلل في الأرض سينبت منه يوم القيامة جسد خالد، تعود إليه الروح يوم البعث ويكون أهلا لجنات الخلود.

صلاة الجنازة:

ومن إكرام الميت في الإسلام: صلاة الجنازة.

وهي صلاة تصلى على الميت بصفة مخصوصة تختلف عما سواها من الصلوات، فهي تصلى قياماً من غير ركوع أو سجود، ومن تشهد أو جلوس.

وحكمها فرض كفاية.

وهي نوع من الشفاعة يطلب بها المصلون للميت المغفرة والرحمة والرضوان.

ومن المستحب كثرة عدد المصلين في صلاة الجنازة، فكلما كثر عددهم كانت للميت شفاعة أكبر.

قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا، لايشركون بالله

شيئا إلا شفّعهم الله فيه» (أخرجه مسلم، كتاب الجنائز).

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مئة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه» (رواه مسلم، كتاب الجنائز).

وعلى المصلين في صلاة الجنازة أن يجتهدوا في الدعاء لأخيهم الميت، ويكونوا شفعاء له بين يديه الله ﷻ، وليتذكر كل واحد منهم أنه سيكون في حاجة إلى الشفاعة عندما يأتيه أجله، ويوضع أمام المصلين مثل الميت الذي يصلي عليه.

«عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء» (رواه أبو داود وابن حبان وصححه، التاج الجامع ج١ ص ٣٥٨).

أدعية للميت:

وقد سن لنا الرسول ﷺ أدعية نرددها في صلاة الجنازة ومنها: «**اللهم** اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا وشاهدنا وغائبنا»

«**اللهم** من أحييته منا فأحيه على الإيمان ومن توفيته فتوفه على الإسلام.

اللهم لا تحرمنا أجره ولا تضلنا بعده»(رواه أصحاب السنن، التاج الجامع ج١ ص ٣٦٠).



ومن الدعاء للميت:

«**اللهم** اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر أومن عذاب النار» (رواه **مسلم والنسائي والترمذي، التاج الجامع ج١ ص ٣٥٩-٣٦٠).**

وعن أبي هريرة ﷺ: **دعا رسول الله ﷺ في** الصلاة على جنازة فقال:

«**اللهم** أنت ربها وأنت خلقتها، وأنت رزقتها وأنت هديتها للإسلام، وأنت قبضت روحها، تعلم بسرها وعلانيتها، جئنا شفعاء فاغفر لها» (رواه أبو داود والنسائي، التاج الجامع ج١ ص ٣٦٠).

وصلاة الجنازة حق من حقوق المسلم على إخوانه، وقد ثبت ذلك في الحديث الصحيح:

«حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس». (البخاري، كتاب الجنائز).

وفي رواية لمسلم: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ:

قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»(مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام).

الدفن:

الدفن سنة من سنن الفطرة الإنسانية، وعلامة من علامات تكريم الإسلام للإنسان.

وقد حدثنا القرآن الكريم عما جرى مع ابن آدم الأول الذي قتل أخاه:

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ﴾ [المائدة: ٣١].

وقد بين القرآن الكريم مراحل حياة الإنسان، التي تبدأ نطفة، ثم تنتهي جثة مدفونة، في قوله تعالى:

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧ - ٢٢].

ومن السنة التعجيل في دفن الميت وعدم تأخيره لغير حاجة.

قال النبي ﷺ: «ياعلي، ثلاث لا تؤخرها، الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيم إذا وجدت كفؤا» (رواه الترمذي وأحمد والحاكم، التاج الجامع ج١ ص ٣٦٧).

ويكره الدفن في أوقات حددها الرسول ﷺ، وهي:

وقت الشروق قبل ارتفاع الشمس، وعند انتصاف الشمس في السماء قبل الزوال، وقبيل الغروب، فعن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: «ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نصلي فيهن وأن نقبر فيهن موتانا: حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس، وحين تضيَّفُ الشمس للغروب حين تغرب»(مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها).

ومن السنة أن يجعل الميت على جنبه الأيمن

ووجهه نحو القبلة.

ويقال عند إدخاله القبر: «بسم الله وعلى سنة رسول الله ﷺ» (رواه أصحاب السنن ولفظ الترمذي): «بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ﷺ» (التاج الجامع ج١ ص ٣٧٢).

ومن السنة أن يستغفر من حضروا الجنازة للميت ويطلبوا له التثبيت عند سؤال الملكين:

قال رسول الله ﷺ: «استغفروا لأخيكم واسألوا له بالتثبيت فإنه الآن يسأل» (رواه أبو داود والبزار والحاكم وصححه، التاج الجامع ج١ ص٣٧٩.

التعزيــة:

قال النووي رحمه الله: «واعلم أن التعزية هي التصبير، وذكر ما يسلي صاحب الميت، ويخفف حزنه، ويهون مصيبته، وهي مستحبة، فإنها مشتملة على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهي داخلة أيضاً في قول الله تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[المائدة: ٢]، وهذا أحسن ما يستدل به في التعزية، وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) (الأذكار، ص١٤٨-١٤٩).

فالتعزية سنة نبوية، وفيها تخفيف وقع المصاب

على قلوب أهل الميت، وفيها دعاء للميت واستغفار له، وهي مظهر من مظاهر تكريم الإنسان ببيان الإحساس بفقده، وكثرة الدعاء له والترحم عليه، كما أنها مظهر من مظاهر الترابط الاجتماعي.

قال الشوكاني رحمه الله: «فكل ما يجلب للمصاب صبراً يقال له: تعزية، بأي لفظ كان، ويحصل به للمعزي الأجر المذكور في الأحاديث». (نيل الأوطار: ٤/١١٧).

وقد اقتضت الظروف المعاصرة أن يجلس أهل الميت للعزاء أياماً محدودة تمكن من لم يحضر الجنازة من تعزيتهم.

ولا يخفى أن اتساع المدن وبعد المسافات وانشغال الناس اقتضى الجلوس للعزاء، وهو ترتيب اجتماعي لا أكثر.

وللتعزية ألفاظ كثيرة يتداولها الناس، وأفضلها ما قاله النبي ﷺ مما ورد في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه أن ابنا لي قبض فأتنا فأرسل يقرئ السلام ويقول: إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب» (اللؤلؤ والمرجان رقم ٥٣١ طبعة دار السلام).

ومن ألفاظ التعزية: «قال العلماء: فإن عزى

مسلماً بمسلم قال: أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك.

وإن عزى مسلماً بكافر قال: أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك.

وإن عزى كافراً بمسلم قال: أحسن الله عزاءك وغفر لميتك.

وإن عزى كافراً بكافر قال: أخلف الله عليك»

(فقه السنة ج ١ص٣٣٢ – ٣٣٣ ط دار الفكر بيروت).

والمعزى يجيب: «استجاب الله دعاءك» و«رحمنا وإياك»و«جزاك الله خيرا».

وتشيع بين الناس ألفاظ لا معنى لها، ولا

ينبغي قولها ومنها: «البقية في حياتك».

وهل ترك الميت بقية من حياته لغيره؟

و«العمر لك».

وهو كلام لا معنى له، وإن كان يقصد به طول العمر، فالأجل محدود لا يستأخر الإنسان عنه ولا يستقدم.

و«خاتمة الأحزان»!! وهو كلام لا قيمة له!

فما دام فوق الأرض أحياء فالموت قادم إليهم، ولا ختام لأحزان الموت.

ومما يجب الاحتراز منه في مجالس العزاء الإثقال على أهل الميت بأن يصنعوا الطعام للناس،

والسنة أن يصنع الناس الطعام لأهـل الميـت، فقـد نزل بهم ما يشغلهم.

وكذلك مما ينبغي اجتنابه ما نهى الإسلام عنـه من النياحة وشق الجيوب واللطم.

وكذلك الأحاديث الدنيويـة الـتي تضـيع ذكـر الموت وهيبته والعبرة من الاجتماع بسببه.

ومثل ذلك ما نـراه مـن رفـع صـوت القـرآن الكريم عـبر المسـجلات مـن غـير إنصـات لـه أو خشوع لسماعه.

ومن فضل الله علي أنـني إذا حضـرت مجلـس عزاء حولته إلى مجلس علم أذكّر فيه النساء بـالموت

وبلقاء الله والاستعداد للرحيل وعدم الاغترار بالدنيا الزائلة. وكثيراً ما تكون لهذه الدروس ثمرات نافعة فتنشرح للحق صدور وتهتدي قلوب، ولله الحمد والمنة.

أعمال تلحق الإنسان بعد وفاته

من فضل الله على المسلم أن فتح له المجال بعد وفاته لتأتيه من الدنيا أعمال صالحة.

وهذه الأعمال قسمان:

الأول: قسم يقوم به الإنسان في حياته ويستمر أجره بعد موته.

والقسم الآخر: أعمال يرسلها إليه أهله وأحبته الأحياء.

وهذا من فضل الله وكرمه على الأموات، ومن فضله على الأحياء الذين يمكن أن يؤدوا

بعض الحقوق لمن مات من أحبتهم ويتلافوا ما كان منهم من تقصير تجاههم في حياتهم، أو ليتابعوا برهم والإحسان إليهم. وكما يسر الإنسان منا بهدية يتلقاها في حياته، وكذلك يسر مقدم الهدية، فكذلك حال الميت بل ربما يكون فرحه أشد بما يأتيه من هدايا الحسنات من أهله وأقاربه وأصدقائه لأنه بأمس الحاجة إلى كل حسنة تكفر له ذنباً وترفع له درجة.



أعمال يقدمها الإنسان قبل موته

وقد بين النبي ﷺ ما يمكن أن يقدمه الإنسان من أعمال صالحة يستمر أجرها، وتأتيه حسناتها وهو في عالم البرزخ، ومن ذلك ما ورد في الأحاديث الآتية:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت: من مات مرابطاً في سبيل الله، ومن علم علماً أجري له عمله ماعمل به، ومن تصدّق بصدقة فأجرها يجري له ما وجدت، ورجل ترك ولداً صالحاً فهو يدعو له» (صحيح الجامع ٨٧٧).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»(أخرجه مسلم، كتاب الوصية).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:«إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته» (صحيح الجامع ٢٢٣١، المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤٠٦/١٩٨٦).

وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علم علماً، أو أجرى نهراً، أوحفر بئراً، أو غرس نخلاً، أوبنى مسجداً، أو ورث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته» (صحيح الجامع ٣٦٠٢).

هذه الأحاديث بينت أصنافاً من الأعمال يصل ثوابها إلى الميت، وذلك تشجيعاً للإنسان ليعمل في حياته ما يأتيه ثوابه بعد مماته، والأعمال التي بينتها الأحاديث هي:

١. المرابطة في سبيل الله:

وهذا العمل مما يقوم به الإنسان في حياته،

والمرابط: هو المجاهد لحماية حدود الإسلام والمسلمين والذود عن حمى الإسلام، فعمله ورباطه يكون سبباً في أن ينمو له عمله ويأمن من فتنة القبر.

فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان» (رواه مسلم فضل الرباط في سبيل الله).

ومعنى أمن الفتان: أي وقاه الله فتنة القبر، وثبته عند سؤال الملكين.

وللرباط صور متعددة سوى الرباط الحربي:

يقول الشيخ الشعراوي في تفسير ختام سورة آل عمران:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾:

«ما هو الرباط؟ هو أن تشعر عدوك بأنك مستعد دائماً للقائه، هذا هو معنى الرباط.

والحق يقول: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

«والرباط لا يكون فقط أن ترابط بالخيل للعدو المهاجم هجوماً مادياً، بل من المرابطة أن تعد الناشئة الإسلامية لوافدات الإلحاد قبل أن تفد، لماذا؟ لأن المسألة ليست كلها غزواً بخيل وسلاح وعُدَد، فقد يكون الغزو بالفكر الذي يتسرب إلى النفوس من حيث لا تشعر، فإذا لابد أن تكون أيضاً في الرباط الذي يمد المؤمن بقدرة وطاقة المواجهة بحيث إذا جاءت قضية من قضايا الإلحاد التي قد تفد على المؤمنين، يكون عند كل واحد منهم الحصانة ضدها والقدرة على مواجهتها.

فالرباط لا يكون بقوة عسكرية فحسب بل

بالقوة العلمية والقوة المادية والقوة الفكرية أيضاً، فخصوم الإسلام قد يئسوا من أن ينتصروا على الإسلام بقوة عسكرية بعد أن كتلوا كل قواهم في الحروب الصليبية، ولم يبق لهم إلا أن يَدخلوا علينا من خلال مناهجهم ومن خلال المستشرقين هناك والمستغربين منا، فينقلوا لنا ثقافات أجنبية بعيدة عن منهجنا، وهم معذورون لأنهم لا يعلمون منهج الله في دين الله، إذاً فالرباط لابد أن يكون أيضاً في رباط الأفكار، ورباط العلم المادي.

(تفسير الآية ٢٠٠ من سورة آل عمران) (من خواطر الشعراوي، موقع التفسير: www.altafsir.com).

٢. العلم الذي ينتفع الناس به:

ويشمل كل علم يفيد المسلمين، أو ينفع الإنسانية، ما دامت النية فيه خالصة لله، لبيان تجلي أسماء الله، وتعريف الناس بخالقهم عز وجل.

ويدخل في هذا الباب تأليف الكتب أو وقف المصاحف لله، ومثل ذلك وقف كتب العلم النافع في المكتبات العامة أو مكتبات الجامعات وغيرها من أنواع المكتبات.

والعلم النافع علمان: علم دنيوي لإصلاح حال الأمة كالطب والهندسه والصيدلة وغيرها مما تحتاج إليه البشرية لتستقيم حياتها.

والعلم الآخر: العلم الديني وهو الـذي يبصـر الناس بدينهم ويعرفهم بـربهم ويهـديهم للصـراط المستقيم. وهو علم يميز به الإنسان ما بين الضـلال والهداية وما بـين الحـلال والحـرام ومـا بـين الحـق والباطل.

وتعليم الناس الخير فيه أجر عظيم.

فمن نفع الناس بعلم يصلح لهم أمور دنيـاهم بنية صالحة فهو مأجور مشكور.

والمعلم إن دعا إلى خـير فلـه مثـل أجـور مـن اهتدوا بتعليمه، والعكس صحيح فمن دعا إلى إثم فله مثل آثام من تأثر به.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«من دعا إلى هـدى كـان لـه مـن الأجـر مثـل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجـورهم شـيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثـل آثـام من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئا» (رواه مسلم، كتاب العلم: باب من سن سنة حسنة).

ومما صـح في السـنة عـن رسـول الله ﷺ مـن حديث سهل بن سـعد في شـأن الـدعوة إلى الخـير وفضلها قوله لما بعث عليا الى خيبر أنه قال له:

«ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب علـيهم من حق الله تعالى فيـه، فـوالله لأن يهـدي الله بـك

رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» (البخاري: المناقب ٣٤٩٨) و(مسلم فضائل الصحابة ٢٤٠٦).

وقال ﷺ: «من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله» (مسلم، كتاب الإمارة، فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره).

فمن علم علماً وبقي علمه بين الناس من خلال الطلبة الذين تلقوه، أو مؤلفات متداولة بين الناس، فإن أجره يبقى مستمراً ما بقي ذلك العلم.

ومن فضل الله على أهل العلم أن الوسائل الحديثة وسعت أبواب الأجر لهم من خلال النشر الإلكتروني، ومن خلال الوسائط المرئية والمسموعة،

فكم من عالم غادر هذه الدنيا وعلمه يتردد بين الناس صوتاً وصورة! وكأنه حي لم يمت.

ومما قد يدخل في هذا الباب الإنفاق على طلبة العلم المحتاجين الذين يتحولون بعد تخرجهم إلى معلمين ووعاظ وأئمة مما يجعل ما يقومون به من دعوة وعمل صالح في ميزان من أعانهم على اكتساب العلم ونشره، سواء أكان حياً أم ارتحل إلى عالم الخلود.

وكل من أسهم في نشر العلم بين الناس فهو شريك للمؤلف في الأجر المتجدد ويأتيه أجر مستمر بإذن الله؛ ويشمل ذلك الناشر للكتب

والممـول لطباعتهـا والمشـتري لهـا الـذي يوزعهـا احتساباً لوجه الله. كل ذلك مع إخلاص النيـة لله، فالمتعاونون على الـبر والتقـوى والعمـل الصـالح شركاء في الأجر.

٣. الصدقة الجارية:

ومنها كل ما ينشئه الإنسان من الأوقاف الـتي يستمر وجودها مدة طويلـة، ومنهـا بنـاء المسـاجد الـتي تقـام فيهـا الصـلوات وتلقـى دروس العلـم وحلقات تحفيظ القرآن. قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [التوبة: ١٨].

وقال ﷺ: «من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة» (متفق عليه، فضل بناء المساجد وعمارتها).

ومن الصدقات الجارية بناء مراكز الجمعيات الخيرية ودور رعاية الأيتام التي تؤويهم وتؤهلهم بالعلم النافع، وبالحرف التي تؤهلهم للحياة ليكونوا عناصر نافعة في المجتمع.

ومنها: مراكز إيواء الغرباء من أبناء السبيل،

وقد تراجع الاهتمام بهذا الأمر في زماننا، ربما لانتشار الفنادق. وقديما كان الصالحون من الأغنياء ينشئون محطات على الطرق بين المدن يسمونها الزوايا، وكانت أشبه ما تكون بفنادق مجانية يأوي إليها المسافرون فيجدون الرعاية الشاملة ما داموا فيها.

ومن الصدقات الجارية: حفر آبار المياه أو شق الترع من الأنهار لتسقي الناس والدواب وتكون سبباً في إحياء الأرض في الأرياف.

ومنها زراعة الأشجار من نخل وغيره وجعلها وقفاً لله تعالى.

ومن ذلك: وضع البرادات في المساجد أو في طرق الناس ليكون الماء متاحاً يرتوي منه العطاش، أو غير ذلك من وجوه البر الدائمة العطاء.

وأبواب الصدقة الجارية مفتوحة متجددة، وهي من وسائل نفع الإنسان لنفسه بعد وفاته، ومن وسائل البر بمن مات من أهلنا أو أصدقائنا.

كما يمكن أن يدخل في باب الصدقات الجارية كتب العلم والمصاحف التي توقف على طلبة العلم في المكتبات المتنوعة وفي المساجد وغيرها.

٤ . الأولاد الصالحون الذين يدعون لوالديهم:

إن أحسن الإنسان تربية أولاده، وأكرمه الله

بصلاحهم، ناله بعد وفاته منهم الخير الكثير. فمـن ذلك:

أنهم يدعون لوالديهم بالخير ورفع الـدرجات والمغفرة والرحمة، ويتصدقون، ويقومـون بكـل مـا هو مستطاع من عمل يلحق بوالديهم بعد وفاتهم.

فينتفع الميت بـدعائهم وصـلاحهم وعملـهم، ولا سيما إن كـان هـو سـبباً في صـلاحهم بحسـن تربيته لهم وفق قاعدة: السبب كالفاعـل، فكمـا أن صـلاح الوالـدين ينفـع الأولاد، فكـذلك صـلاح الأولاد ينفع الوالدين.

وقد أرشد القرآن الكـريم الأولاد إلى الـدعاء

للوالدين بقوله:

﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٢٤].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول: أنى لي هذا؟ فيقال باستغفار ولدك لك» (رواه أحمد وابن ماجه والبيهقي، صحيح الجامع ١٦١٦).

وعن سعد بن عبادة أن أمه توفيت وهو غائب فقال: «يارسول الله إن أمي ماتت وأنا غائب فهل ينفعها إن تصدقت عنها؟ فقال: نعم فقال: أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عنها»(المخراف:

البستان الـذي يجنـى منـه الثمـر). (رواه البخــاري: كتاب الوصايا - باب إذا قال أرضي أو بستاني صـــدقه لله عن أمي).

«إن بر الوالدين لا يقتصـر علـى برهمـا أثنـاء حياتهما فقط، بل يمتد بعـد رحيلـهما عـن الـدنيا، فيمكن أن تبر والديك بعد وفاة أحدهما أو كليهما إكراماً لهما وتعظيماً، وسيصـل الثـواب إليهمـا إن شاء الله وينتفعا به، ومـن أركـان هـذا الـبر الـذي يرشدنا إليه رسولنا الكريم صلوات الله عليـه، مـا يلي: «عن أبي أسيد قال: كنت عند رسـول الله ﷺ جالساً فجاء رجل من الأنصـار فقـال: يـا رسـول

الله، هل بقي من بر والدي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما، فهذا الذي بقي عليك» (رواه أبو داود -كتاب الأدب - باب بر الوالدين).

«فهذا الذي بقي عليك» (ص ٣٩ - ٤٠ بر الوالدين وصلة الأرحام، د. حسن جمعة جهامة، دار الفتح، ٢٠١٤).

«إن الحديث يرشد إلى أمور مهمة يمكن أن يقدمهما الإنسان منا إلى والديه بعد موتهما ومنها: الدعاء لهما والاستغفار، وتنفيذ وصيتهما، وبر

أصدقائهما، وصلة رحمهما، (انظـــر التفصـــيل في كتاب: بر الوالدين وصلة الأرحام» (ص ٤٠ –٤١ د.حسن جمعة جهامة).

أعمال نقدمها لأحبتنا بعد رحيلهم

كما تلحق الإنسان حسنات مما قدمه الإنسان لنفسه قبل رحيله فكذلك تصله حسنات مما يهديه إليه أهله وأحبته من أعمال صالحة. والأمر فيه تفصيل.

الميت والعبادات:

لا يخفى أن بعض الناس قد يقع منه تقصير في حق الله، فينشغل أو يعجز عن القيام ببعض العبادات، ومن فضل الله تعالى أن أتاح لأهل الميت أن يجبروا بعض النقص الذي يحصل منه في

بعض العبادات وإليكم التفصيل:

الصلاة:

الصلاة من العبادات التي لم يثبت في جبر نقصها دليل شرعي، فمن مات وعليه صلاة لا يستطيع أحد بعد رحيل الميت أن يصلي عنه وأمره إلى الله.

الصوم:

الصوم من العبادات التي يمكن أن ينوب فيها ولي الميت عنه، فمن مات وعليه صوم يمكن أن يقضي عنه أقاربه صومه ليسقطوا عنه حق الله

ويغفر له.

عن بريدة رضي الله عنه قال: بينا أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ أتته إمرأة فقالت:

«إني تصدقت على أمي بجارية وإنها ماتت فقال: وجب أجرك وردها عليك الميراث.

فقالت: يارسول الله، كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها؟

قال: صومي عنها.

قالت: إذا لم تحج أفأحج عنها قال: حجي عنها» (رواه مسلم: كتاب الصيام - باب قضاء الصيام عن الميت ١١٤٩)

وفي قضاء الصوم عن الميت تفصيل:

فإن كان الميت يصوم رمضان ويقضي ما أفطر بعد رمضان ثم مات قبل القضاء قضى أهله عنه صيامه.

وأما إن كان مريضاً أو كبير السن عاجزاً عن الصيام أو ممنوعاً منه فلا يصوم أقاربه عنه بل يخرجون كفارة مالية.

أي يراعى حاله قبل الموت في قضاء الصوم أو إخراج الكفارة.

وأما صوم النذر وهو ما أوجبه الميت على نفسه في حياته ولم ينفذه: فمن أهل العلم من قال:

يصوم عنه وليه، لحديث النبي ﷺ:

«من مات وعليه صيام صام عنه وليه» (البخاري -كتاب الصوم-من مات وعليه صوم).

الحــج:

ومن العبادات التي يمكن أن ينوب فيها أولياء الميت عنه الحج، فمن مات ولم يحج يشرع ويجوز أن يحج عنه،

«عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن إمرأة من جُهينة جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج ولم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك

دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء». (أخرجه البخاري، باب الحج والنذور عن الميت).

وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال جاءت إمرأة من خثعم عام حجة الوداع قالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا، لا يستطيع أن يستوي على الراحلة، فهل يقضي عنه أن أحج عنه؟ قال: (نعم). (أخرجه البخاري ومسلم- كتاب الحج).

لكن بشرط أن يكون من أراد الحج عن الميت قد حج عن نفسه.

لحديث ابن عباس أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: «لبيك عن شبرمة

قال: من شبرمة؟

قال: أخ لي أو قريب لي

فقال: حججت عن نفسك؟

قال: لا

قال: حج عن نفسك ثم عن شبرمة» (رواه أبو داود، وانظر صحيح الجامع رقم ٣١٢٨).

ومن وصى قبل وفاته بأن يحج أهله عنه فقد برئت ذمته، وعلى ورثته الحج إن استطاعوا.

قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الصدقة:

ومما يمكن أن يصل به الإنسان من مات من قرابته الصدقة.

فعن عائشه رضي الله عنها: «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يارسول الله إن أمي افتلتت نفسها وأراها لو تكلمت تصدقت أفأتصدق عنها قال: نعم تصدق عنها» (البخاري: الوصايا- مايستحب لمن توفي فجأة أن يتصدقوا عنه).

و«من أفضل الصدقات التصدق بسقي الماء؛

لحديث سعد بن عبادة - رضي الله عنه -، قال: قلت: يا رسول الله، إن أمي ماتت أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم». قلت: فأي الصدقة أفضل؟ قال: «سقي الماء» فتلك سقاية سعدٍ بالمدينة». وفي لفظ لأبي داود: «فحفر بئراً وقال: هذه لأم سعدٍ». ولكن يتحرى المتصدق حاجة الناس فيتصدق بما تدعو إليه الحاجة، سواء كانت في الماء أو في غيره

(النسائي، كتاب الوصايا، باب ذكر الاختلاف على سفيان، برقم ٣٦٦٣، ٣٦٦٤، وأبو داود، كتاب الزكاة، باب في فضل سقي الماء، برقم ١٦٨١، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب صدقة الماء، برقم ٣٦٨٤، وأحمد، ٢٨٥٥، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي، ٢/٥٦٠، وفي صحيح سنن أبي داود، ١/٤٦٦. (المكتبة الشاملة).



إنفاذ النذر المالي:

ومما يمكن أن يحسن به الحي إلى من مات من أهله أن يفي بنذره المالي حسب استطاعته.

فمن نذر نذراً ثم مات ولم يقضه يشرع إنفاذ نذره، فإن خلف مالاً فهو واجب بالتركة لثبوته في ذمته.

قال رسول الله ﷺ: «الله أحق بالوفاء»(البخاري، باب الوفاء بالنذور).

الدعــاء للميت:

الدعاء للميت سنة نبوية، وعبادة خفيفة ميسرة في كل حين، يستطيع الإنسان بها أن يرسل لأمواته من

الحسنات ما لا يعلمه إلا الله. ويبدأ الدعاء منذ وفاة الإنسان، قبل صلاة الجنازة وبعدها إلى ما شاء الله.

وقد فعلها النبي ﷺ وحض عليها. وقد مر بنا من قبل دعاؤه لأبي سلمة رضي الله عنه عند وفاته.

وفي صلاة الجنازة أدعية للميت مأثورة وردت من قبل.

ويسن الدعاء لأهل القبور في زيارة المقابر، وهو مما يمكن أن يحسن به الحي لمن سبقه إلى الموت من أهله وإخوانه.

ومما أثر منه عن النبي ﷺ دعاء رواه سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبي ﷺ كان يعلمه لأصحابه إذا

خرجوا إلى المقابر، وهو قوله:

«السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله تعالى بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية» (رواه مسلم، كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول المقابر والدعاء لأهلها).

وما رواه ابن عباس قال: مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة، فأقبل عليهم بوجهه فقال: «السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر». (رواه الترمذي، التاج الجامع ج١ ص٣٨١).

ومما ورد من ذلك دعاء رسول الله ﷺ لأهل

البقيع، ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كلما كانت ليلتي من رسول الله ﷺ يخرج في آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا وإياكم متواعدون غدا أو مواكلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد». (رواه مسلم، كتاب الجنائز، ما يقال عند دخول المقابر).

وفي حديث طويل قال فيه جبريل للنبي ﷺ: «إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم». (المصدر السابق).

ومن صفات المؤمنين التي ذكرها القرآن

الكريم أنهم يدعون لمن سلف من إخوانهم المؤمنين وذلك في قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

قراءة القران الكريم:

ومن الأعمال الصالحة التي يمكن أن تهدى للميت قراءة القرآن بهبة ثوابها للميت من زائريه وأهله وأصحابه.

فجمهور العلماء يقولون بجوازها، وأنا أرى

من خلال بيوت العزاء أن الأولى للنساء أن يقرأن القرآن الكريم في هذه المجالس بقصد الأجر للقارئة أولاً، ثم للميت، ثم لحفظ مجالس العزاء من اللغو، فإن لم تشغلها الداعيات بالموعظه شغلتها النساء بالغيبة واللغو من الكلام.

سداد دين الميت:

من وجوه بر الأحياء بأمواتهم سداد ديونهم التي ماتوا وهي في ذمتهم. وذلك ما شرعه الله تعالى في تقسيم الميراث حيث جعل للوصية والدين الأولوية قبل الورثة، والدين مقدم على الوصية في الأداء:

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ١١].

والقرض أمر شائع بين الناس، يستعينون به على قضاء حوائجهم في حال عسرهم، وهو أمر

مشروع، وآية الدين مشهورة معروفة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ

إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ومن المهم أن يحرص الإنسان على أداء دينه

في حياته، وأن ينوي سداد ما يأخذه قرضا من الناس ليعينه الله على السداد.

ومن مات وعليه دين، ولم يؤد عنه دينه استوفى المقرض حقه منه من حسناته يوم القيامة.

قال رسول الله ﷺ: «من مات وعليه دينار أو درهم قضي من حسناته ليس ثم دينار ولا درهم» (صحيح الجامع الصغير، ٦٥٤٦).

وقال رسول الله ﷺ: لسعد بن الأطول: «إن أخاك محبوس بدينه فاذهب فاقض عنه»(صحيح الجامع «١٥٥٠»).

ومما يستقبح من الأفعال أن يكون الإنسان

قادرا على أداء دينه ثم يماطل في سداده، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «مطل الغني ظلم» (البخاري: كتاب الاستقراض- باب مطل الغني ظلم، ومسلم- كتاب المساقاة - باب مطل الغني ظلم).

وقد وعد الله من نوى سداد الدين إلى صاحبه أن يعينه على ذلك.

قال ﷺ: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله»(رواه البخاري، كتاب البيوع- باب الإفلاس والإنظار).

ومن الإيمان والتقوى والبر بالميت وإكرامه حرص الورثة على قضاء الدين إن استطاعوا، بأن

ترك الميت مالا، أو كانوا هم قادرين على السداد.

أو أن يستسمحوا أصحاب الحقوق إن عجزوا عن السداد.

وإن لم يفعلوا ذلك فليعلموا أن ميتهم يبقى مأسوراً بدينه إلى يوم القيامة، قال رسول الله: «إن صاحبكم حبس على باب الجنة بدين كان عليه، فإن شئتم فأنفذوه وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب الله، قال رجل: علي دينه فقضاه» (أبو داود والنسائي).

ومن عظم أمر الدين أن الشهيد يغفر له كل ذنب إلا الدين.

قال النبي ﷺ: «يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين»

قال النووي رحمه الله: «قَوْلـه ﷺ: (إلا الـدَّيْن) فِيهِ تَنْبِيه عَلَى جَمِيع حُقُوق الآدَمِيِّينَ، وَأَنَّ الْجِهَـاد وَالشَّهَادَة وَغَيْرهمَا مِنْ أَعْمَال الْبِرّ لَا يُكَفِّر حُقُـوق الآدَمِيِّينَ، وَإِنَّمَا يُكَفِّر حُقُـوق اللَّـه تَعَـالَى»(شـرح مسلم للنووي ج ١٣ ص ٢٩).

وقال ﷺ: وقال: «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه» (رواه الترمذي، كتاب الجنائز).

ولذلك كان من بر الأحياء بموتاهم قضاء الديون التي عليهم.

زيارة القبور:

ومما يمكن أن يقوم به الإنسان من أعمال البر

بمن مات من أهله زيارة قبره، والدعاء له.

وزيارة القبور سنة رغب فيها ديننا، لأنها تذكر الإنسان بمن مات من أهله، وتدفعه إلى السعي لبرهم والإحسان إليهم بألوان العمل الصالح.

كما أنها تذكر بالموت والآخرة، وتجعل العاقل يدرك حقيقة الدنيا فلا يتعلق بها، بل يعلم أنها مزرعة للآخرة، فيكثر من فعل الخيرات، وأنها ميدان تجل لأسماء الله الحسنى في الكون وما فيه من المخلوقات فيكثر من التأمل والتدبر؛ ليزداد معرفة بالله، ومحبة له وسعيا إلى طاعته.

ويبدو أن الرسول ﷺ كان نهى المسلمين عن

زيارة القبور لأمر ما، ثم جاء الإذن الرباني بذلك، ويبدو هذا الأمر جليا في الأحاديث الآتية:

منها: حديث بريدة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكر الآخرة» (رواه الخمسة إلا البخاري واللفظ للترمذي، التاج الجامع ج١ ص٣٨١).

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم: «إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها لتذكركم زيارتها خيرا» (رواه أحمد صحيح الجامع ٢٤٧٥).

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ: كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها فإنها ترق القلب وتدمعُ العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هُجراً» (مسلم كتاب الجنائز، باب استئذان النبي - ﷺ - ربه في زيارة قبر أمه).

وفي زيارة النساء للقبور خلاف بين العلماء، فمنهم من تمسك بظاهر الحديث: «لعن الله زئرات القبور» (رواه أصحاب السنن، التاج الجامع ج١ ص٣٨٢).

فمنع النساء من الزيارة، ومنهم من رأى أن المنع كان عاما للرجال والنساء ثم جاء الإذن للجميع، واستدلوا على ذلك بتعليم الرسول ﷺ

لعائشه رضي الله عنها ما تقوله عند القبور فقال:

قال: قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون» (رواه مسلم ،كتاب الجنائز- مايقال عند دخول المقابر والدعاء لهم).

فعلمها ولم ينهها عن زيارة القبور.

واستدلوا كذلك بحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «اتقي الله واصبري»، قالت: إليك عني؛ فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه فقيل لها: إنه النبي ﷺ،

فأتت باب النبي ﷺ، فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال:«إنما الصبر عند الصدمة الأولى»

(اللؤلؤ والمرجان رقم ٥٣٣).

ولم يرد في الحديث نهي من النبي ﷺ للمرأة عن زيارة القبور.



الخاتمة

لكل بداية نهاية، وها قد وصلنا للخاتمة، خاتمة الكتاب وخاتمة الرحلة التي لا بد منها، الرحلة التي ابتدات من لحظة الولادة منذ صوت البكاء الذي به استهللنا رحلة الحياة، ضحكنا، بكينا، فرحنا، حزنا، ومررنا بأحداث وأحداث حتى وصلنا إلى النهايه.

ولابد من استحضار ما قدمنا وما أخرنا من نياتنا وأعمالنا، فقد جاءت اللحظة الحاسمه لحظة لقاء الله ﷻ: الخالق المنعم الرزاق، وقد ناجيناه كثيرا، صلينا بين يديه نبتغي مرضاته، صُمنا له ليرضى عنا، حاولنا ما في جهدنا ولكنا مقصرون.

وإن الناقد بصير عليم خبير، ياترى هل أخلصنا

له كل النيات والأقوال والأعمال؟؟

ياترى هل ربنا راضٍ عنا؟؟؟

ياترى هل كان أهم الناظرين إلينا؟؟

وأسئلة وأسئلة وربنا جل وعلا يقول: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾[الفجر: ٢٣].

لا إجابات إلا رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء.

إلا عفو الله الذي نرجو.

ويأتي ملك الموت، كيف؟؟ ومتى؟؟ ومع من؟؟

نسأل الله أن يأتينا ملك الموت ومعه ملائكة الرحمة:

كـأن وجـوههم الشـمس، معهـم كفـن مـن الجنـة وحنوط من الجنة، عندئذ يا فرحتنا ويا بشرانا، فزنـا ورب الكعبة، فقد رضي الله عنا وسيرضـينا، ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [البيِّنة:٨].

ونسمع صوتاً خالداً حبيباً إلينا طالما أعددنا له وانتظرناه:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ٢٨ فَٱدۡخُلِى فِى عِبَٰدِى ٢٩ وَٱدۡخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر:٢٧-٣٠].

جعلني الله وإياكم من أهل الفردوس الأعلى ولمثل هذا فليعمل العاملون.



الفهرس